الدكتورة هند المفتاح مديرة المركز الثقافي للطفولة في حوار الذكريات الرمضانية 1 2

حوار :نشوى فكري

هي أستاذة جامعية في مجال إدارة الأعمال وإدارة الموارد البشرية ومهتمة بقضايا الوطن والمواطن وبالأخص في مجال العمل المؤسسي وتنمية الشباب، لديها عدد من الأبحاث والدراسات المنشورة في مجالات التعليم والتدريب والموارد البشرية في عدد من المجلات العلمية العالمية كما شاركت في عدد من المؤتمرات المحلية، الإقليمية والدولية.

عجوز إنجليزية تتمنى أن يكون رمضان 12 شهراً بفضل الأطباق القطرية

عميد كليتنا في لندن قاوم قهوة الصباح وصام 3 أيام تضامنا مع الطلبة المسلمين

أول يوم صمته شعرت بتدين مفاجئ وإقبال على القرآن كأني أقرأه لأول مرة

«القرانقعوه» أصبح نوعا من «الترف والتكلف» دون استيعاب حقيقي للمناسبة وقيمتها التراثية

أطباق السلطة والوجبات الصحية تسحب البساط من الأكلات الدسمة التقليدية

وحصلت على بكالوريوس الإدارة من جامعة قطر عام 1990 والماجستير في الدراسات التنموية من جامعة لندن- بريطانيا عام 1999 والدكتوراه في " تكوين رأس المال البشري" من جامعة أكستر- بريطانيا عام 2004. هي الدكتورة هند عبد الرحمن المفتاح مدير المركز الثقافي للطفولة التي التقيناها في حوار الذكريات الرمضانية فإلى الحوار..

دكتورة كم كان عمرك عند صيامك أول رمضان؟ وما أهم المفارقات التي صادفتك في بداية أول يوم صوم؟

** أذكر أنني كنت ربما بالصف الأول وكان عمري تقريبا السادسة، ورغم أني لم أصم شهر رمضان كاملا، إلا لاحقا حيث كنت في البداية أصوم منتصف النهار أو بعض الأيام، إلا أنها كانت تجربة رائعة لتعلمني فوائد الصوم الروحانية والتنافس مع الكبار قبل الصغار على تحمل جُهد الصوم والسباق في عمل الخير، ولعل من أهم المفارقات التي لا تغيب عن ذاكرتي وربما ذاكرة أي شخص يسترجع طفولته في صيام أول يوم هي "التدين" المفاجئ إذ أقبلت على قراءة وحفظ وتجويد القرآن الكريم وكأني أتعرف عليه للمرة الأولى، أما المُضحك في صيام اليوم الأول فهو عدّ الساعات المتبقية لموعد الإفطار منذ أذان الفجر والتحليق المستمر والمتواصل في الساعة ترقباً لمدفع الإفطار علاوة على الزهو فخرا أمام الجميع بصيام اليوم كاملا وكأني قد صمت دهرا وليس يوما.**

بماذا ارتبط شهر الصوم في ذاكرتك؟

ارتبط شهر رمضان دائما في ذاكرتي بالعبادة وعمل الخير وصلة الرحم والتواصل مع الأصدقاء، فالأول والثاني يعني الجد والاجتهاد فيهما بكل الوسائل والسبل وبالأخص في العشر الأواخر "وفي ذلك فليتنافس المتنافسون" أما صلة الرحم فكأنها تتجدد في شهر رمضان بنكهة خاصة مرتبطة بمضاعفة الأجر.

هل هناك مواقف معينة عالقة بالذاكرة خاصة بشهر رمضان؟

أذكر أنه في إحدى السنوات ولا تحضرني السنة بالضبط تعرضت قطر لعاصفة رعدية مصحوبة بأمطار قوية وذلك قبل وقت الفطور بقليل، وقد أصابتنا هذه العاصفة بالهلع والجزع، حتى ظننا أنها لحظات "القيامة" فبدأنا في الاستغفار والتكبير حتى أننا لم نُفطر إلا بعد هدوء العاصفة وزوالها تماما والاطمئنان على بعضنا البعض بعد صلاة العشاء.

هل صادفك رمضان خارج الدوحة؟ وبماذا يختلف رمضان في الدوحة عن غيرها؟

نعم، صادفني كثيرا أن شهدت شهر رمضان خارج قطر وتحديدا في مصر وبريطانيا وبعض الدول الأوروبية، شهر رمضان في مصر رائع جدا بمعنى الكلمة وتكاد تشعر فيه أن كل ركن من القاهرة ينطق بفضل وروحانية الشهر الكريم، ولا يفوتني هنا أن أسأل الله أن يرزق مصر وشعبها الأمن والاستقرار وأن يكفيها شر الفتن. أما في بريطانيا، فالوضع يختلف كثيرا، فقضاء رمضان فيه كسائحة يختلف عن كوني طالبة، فالوضع الأول رغم "حلاوة لَمّة" الغربة خاصة وقت الفطور، إلا أن تجربتي كطالبة تظل هي الأجمل والأغنى. فمازلت أذكر تفاصيل أول يوم من رمضان في كل سنة، وتهنئة الطلبة لبعضهم البعض بما فيهم غير المسلمين، ومازلت أذكر صيام عميد كُليتنا البروفسير تيم نيبلوك تضامناً معنا كطلبة مسلمين رغم قلة عددنا الذي لم يتجاوز آنذاك 7 طلاب من أصل 37 طالب دكتوراه وعدم تحمله طويلا الصيام عن قهوته الصباحية في ظل البرد القارس فصام معنا 3 أيام فقط في العام الأول ثم يومين في العامين التاليين، ومازلت أذكر الإفطار الجماعي الذي كانت تنظمه الكلية كل سنة للطلبة المسلمين والتواجد الإسلامي العربي طلبة وأطباقاً، ولا تفوتني نفخات الإيمان التي كنا نستمدها من مسجد المدينة ومن صلاة التراويح خاصة تلك التي يؤمّنا فيها الشباب الخليجين والعرب.

ومازلت أذكر جارتي "الإنجليزية العجوز" التي كنت أرسل لها أطباقا رمضانية في أول رمضان لي بمدينة "أكستر" فسألتني بعد أسبوع: ما مناسبة احتفالاتكم اليومية فأجبتها أنه شهر رمضان الكريم وأخذت في شرح فضائل الشهر لها وطبيعة تبادل الأطباق في ثقافتنا القطرية، فأبدت إعجابها وأهدتني في نهاية شهر رمضان وردا وكتابا..ثم تساءلت بعد توقف الأطباق الرمضانية: لماذا رمضان شهر واحد وليس 12 شهرا! أما رمضان في بقية الدول الأوروبية، فهو كئيب وممل ولم أشعر معه بروحانية وفضل الشهر العظيم، وكنت أعد الأيام للرجوع لقطر، فشهر رمضان في قطر له خصوصية.

ما هو الفارق بين رمضان الطفولة ورمضان حاليا؟

بالتأكيد رمضان في طفولتي يختلف عن رمضان اليوم، وهذا أمر طبيعي لتغير الظروف المحيطة ولتعاقب الأجيال وتغير الزمان، وإن احتفظت المظاهر الاجتماعية للشهر الكريم بأساسياتها ولم تتشوه كثيرا ولله الحمد. ولعل من أجمل ذكريات شهر رمضان في طفولتي والتي مازالت عالقة في ذهني وإن اختفت اليوم نوعا ما هي ظاهرة توافد الأطفال قبل أذان المغرب بقليل بين البيوت في "الفريج" غدوا ورواحا يحملون أشكالا وألوانا من الأطباق الرمضانية المتبادلة، وأشك أنها مازالت موجودة، وإن وُجدت فستكون أكثر "مودرن وحداثة" بعيدة عن براءة ومتعة الأطفال. ومن ذكريات رمضان في طفولتي لحظات ترقب مدفع الإفطار ولحظات ترقب مرور "المسحر"، كما لا أنسى الأيام الجميلة لـ"القرانقعوه" والتلذذ في أكل الحلوى أياما عديدة، وكذلك اللحظات التي نعلن فيها عن رغبتنا في المساعدة في المطبخ وإعداد أطباق رمضان وإجبار أفراد العائلة على تذوق ما قمنا بإعداده حتى وإن كان علقما مُراً. أما أطفال اليوم، فالبعض منهم بالكاد يعرفون لون باب منزلهم أو أسماء جيرانهم، أما احتفالهم بالقرانقعوه فقد أصبح نوعا من "الترف والتكلف" دون استيعاب حقيقي للمناسبة وقيمتها التراثية. ورمضان بالنسبة لبعض الشباب، فهو نوم طوال النهار وسهر طوال الليل! كما أن الدراسة والعمل في شهر رمضان كان أمرا عاديا لا يتأثر بالصوم رغم تخفيف ساعات الدوام ورغم حر الصيف أو برد الشتاء، فيتم إنجاز وإنهاء الكثير من الأعمال الدراسية والمكتبية والخدمية، فالمدرس يُدرس، والموظف يُنجز، والكاتب يكتب، والفنان ينجز لوحاته، حتى التاجر يحرص على توسيع محله وتجارته، والمواعيد الاجتماعية يتم إنجازها والقيام بها في كل القطاعات والأوساط دون كلل أو ملل أو شكوى من صيام أو تعب. وكان الإنتاج العملي والعلمي في النشاط العام في أغلب القطاعات إنتاجاً طيباً إن لم يكن مضاعفاً، ولكنه لم يكن أبداً ذريعة للخمول والتكاسل والنوم وتأجيل الأعمال بل والتهرب كما هو اليوم للأسف.

ما هي الأكلات التي تحرصين على وجودها على المائدة الرمضانية؟

المأكولات الشعبية القطرية والخليجية والعربية بالتأكيد تتربع على المائدة الرمضانية بلا شك، على رأسها الثريد والهريس، ولكن نظرا لتغير نمط الحياة وبالذات الصحي والغذائي أصبحت أطباق السلطة والوجبات الصحية هي السائدة اليوم. ولا تختلف مائدة رمضان عن مائدة أي يوم آخر إلا في كونها متنوعة وشاملة لأطباق أكثر.

كيف تنظمين وقتك في شهر رمضان بين الأسرة والعمل والعبادة؟

يبدأ يومي "الرمضاني" مع صلاة الفجر وقراءة القرآن ثم الذهاب للعمل والعودة للمنزل، لا أشاهد التلفاز كثيرا لا في رمضان ولا في غيره من الشهور باستثناء القنوات الإخبارية، ولكن في رمضان اعتدت مشاهدة التلفاز قبل وقت الإفطار وبعده فقط. وتبدأ رحلة العبادة في يومي الرمضاني مع صلاة التراويح ثم زيارات صلة الرحم والأصدقاء ثم قراءة القرآن باقي الليل. وشهر رمضان يعتبر من الأوقات الجميلة والرائعة جدا للأحاديث الأسرية وبالذات تثقيف وتوعية الأبناء في الشؤون الدينية والسيرة النبوية.

حدثينا عن دراستك وذكرياتك في الدراسة في الغربة؟

قضيت أربع سنوات في بريطانيا بين دراسة الماجستير والدكتوراه، ورغم صعوبة التأقلم في بداياتها إلا أنها كانت تجربة ثرية بالنسبة لي أسهمت في صقل شخصيتي وثقافتي وفكري واكتشافي للعالم الآخر من الثقافات والتكيف معهم. الحرم الجامعي في الغربة يختلف كثيرا عن مثيله في قطر وربما الدول العربية، فالانتقال لقاعة دراسية يكون فيها الحوار والجدل حول نظريات اعتقدنا بصحتها وثباتها هو المحور والأساس للتعلّم بعد أن اعتدنا التلقين والتسليم لما يُنقل لنا من علم ومعرفة، والإبحار في عالم الكتب والأوراق العلمية للبحث عن معلومة أو جدلية ما، والنقاش الطويل مع الزملاء والأساتذة في موضوع ما وغيرها من "تقنيات" التعلم الجامعي كان نقلة أكاديمية نوعية وجذرية بالنسبة لي طورت من مهاراتي في القراءة بعمق والبحث والتحليل والحوار وتقبل الرأي الآخر وإن كان مناقضا أو مخالفا. فمثلا، واجهت القليل من العنصرية من أستاذة الاقتصاد التنموي أثناء دراسة الماجستير في جامعة SOAS والتي كانت تنعتني أحيانا "فتاة النفط المُدللة " والتي كانت تتعمد تجاهل إجابة أسئلتي وإحراجي بالاستهزاء بحجابي وإسلامي أمام الطلبة. في البداية كنت أجادلها كثيرا وأذكرها بحقوقي الطلابية والأخلاقيات الأكاديمية، ولكني تكيفت على أسلوبها لاحقا بعد أن عرفت جذور"صهيونيتها". كما واجهت وأبنائي عنصرية بعض المتطرفين في أعقاب أحداث سبتمبر 2011 رغم أني التحقت بدراسة الدكتوراه سبتمبر 2002. وأذكر هنا مفارقة مضحكة أثناء دراستي للدكتوراه بجامعة أكستر حيث كان يتعرض ابني لبعض المضايقات في المدرسة، ورغم رفعه الشكاوى المستمرة لإدارة المدرسة إلا أن الطلبة لم يرتدعوا، فقام ابني بتهديدهم بأنه سيخبر عمه "ابن لادن" بالحضور لهم لتأديبهم، فتوقفوا فورا عن مضايقته! كما لا أنسى موقف جيراني "الإنجليز" في الدفاع عني عندما تعرضت وأبنائي لهجوم من قبل أحد المتطرفين حيث وقفوا له بالمرصاد وطردوه من "المنطقة" بعد أن تم استدعاء الشرطة والتي قامت بتحرير شكوى ضده دون طلب مني بل وخصصت لي ولأبنائي طبيبا نفسيا وحارس أمن ليلتها وتعويضا ماديا لما لحقني من ضرر. ولا يفوتني هنا أن أنوه بالتلاحم الرائع بيننا كمسلمين وعرب في الغربة، حيث كان المسجد يجمعنا في أيام الجمع والمناسبات الدينية، علاوة على تجمعاتنا في المناسبات الوطنية والأزمات السياسية لدول الطلبة، وترحيبنا بالملتحقين الجدد من الطلبة وتوجيههم. والتجربة التي لن أنساها ما حييت هي خروجي في مظاهرة لندن المليونية التضامنية مع العراق في حشد لا أشاهده إلا عبر التلفاز فقط وكانت أول وأعتقد آخر مظاهرة أشارك فيها، كما لا أنسى اللحظة التاريخية التي دخلنا فيها السفارة القطرية في لندن للتصويت على الدستور عام 2003.